الثَّـــرَاءُ الفَنِّـــيُّ
لأُسْلُـــوبِ الاسْتِفْهَــامِ

دكتور

عبد العزيز فتح الله عبد الباري

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالميَّة

وعضو هيئة التَّدريس بجامعة عمر المختار

الاستفهام مصدر الفعل " استفهم " ، " و اسْتَفْهَمه: سأَله أَن يُفَهِّمَه. وقد اسْتَفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْتُه و فَهَّمْته تَفْهِيما " [١] ؛ فسؤال الفهم طلب السائل أن يخبره المسئول عما يسأل ؛ ولذلك ساوي ابن فارس بين معني الاستفهام والاستخبار ؛ فقال : " الاستخبار طلب خُبْر ما ليس عند المستخبِر، وهو الاستفهام " [٢] .

هذه الدلالة اللغوية انطلق منها بلاغيونا القدامى في تقسيم الاستفهام إلي حقيقي ومجازي، أو بلاغي ، والحقيقي ما طلب به السائل أن يعلم ما ليس عنده علم به ، والمجازي ما انحرف عن هذه الدلالة إلي دلالات أُخَر أو معانٍ أخر ، حسب الموقف والسياق وقرائن الأحوال ، وأخذ بلاغيونا – رغبة في التقنين و التقعيد – يحددون هذه المعاني ويمثلون لها بشواهد من الشعر و القرآن والحديث .

وهي رغبة جمحت بالبلاغة العربية – عموما – نحو الجمود : فهم ، مثلا ، لا يكتفون بأن يجعلوا الإنكار معني من المعاني التي يخرج إليها أسلوب الاستفهام - أو ينحرف إليه بتعبير الأسلوبيين المحدثين - بل يقسمون الإنكار إلي وجهين : إنكار للتوبيخ ،وإنكار للتكذيب.

ويقسمون الأول إلي : توبيخ علي فعل قد وقع ، بمعني " ما كان ينبغي أن يكون ذلك الأمر " ، وتوبيخ علي فعل واقع في الحال، أو يُخْشي وقوعه في المستقبل ، بمعني " لا ينبغي أن يكون هذا ، ثم يقسّمون الثاني : أي إنكار التكذيب بنفس الطريقة إلي تكذيب في الماضي بمعني " لم يكن" أو للتكذيب في الحال أو المستقبل " بمعني لا يكون " .

---

[١] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور)، لسان العرب، طبعة دار صادر ، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، مادة (فهم)،ج١٢،ص٤٥٩ .

[٢] ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا) ، الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، تح/ السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (سلسلة الذخائر ، العدد/٩٩) ، يوليو ٢٠٠٣م، ص٢٩٢ .

وهذا تقعيد يؤدّي إلي تعقيد البلاغة وإثقال كاهلها وتكبيلها ،ولا نري له من الناحية الفنية كبير فائدة ؛ فهذا التقسيم قائم علي أساس الزمن الواقع فيه التوبيخ أو التكذيب ، وهو أمر بدهي يُسْتَشفُّ من الأسلوب نفسه ، ولا يحتاج الأمر إلي هذا التقعيد والتقنين .

علي أن من الإنصاف أن نذكر أن بعض بلاغيينا قد يخرج عن أسْر هذه الرغبة أحيانا،بدرجة ما،فيتحدث عن الإنكار فحسب ،دون ذكر هذه التقسيمات ،استنادا إلي ذوق القارئ ، وبلاغته، كما فعل الهاشمي [٣] .

تلك ملاحظة أولي علي تناول بلاغيينا القدماء والمُحْدَثين الاستفهام أسلوبا فنيا ، وإذا أردنا أن نُدلّل علي قصورها ، فإننا سنمثّل بمثال مشهور في كتب البلاغة : قوله تعالي : **(أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا) (الإسراء- ٤٠)** [٤]

فهم يجعلون الاستفهام في الآية الكريمة للتكذيب في الماضي، بمعني "لم يكن" ،"أي: أخصّكم ربكم بالذكور وخصّ نفسه بالبنات ؟ أي أنه لم يفعل هذا لتعاليه عن الولد مطلقا " [٥] ؛ **فهل يبتغي الاستفهام هنا مجرد تكذيبهم؟**

---

[٣] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح/ محمد التونجي-مؤسسة المعارف-بيروت-لبنان-١٩٩٩م/١٤٢٠هـ، صـ١٠٢:١٠٤ .

[٤] انظر مثلا : أحمد مصطفي المراغى، علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، المكتبة المحمودية التجارية والمكتبة التوفيقية ، القاهرة ،ط ٦، ١٩٧٢م.: صـ١٣٧. و سعد الدين التفتازاني (مسعود بن عمر بن عبد الله) ،شرح السعد المسمى مختصر المعاني في علوم البلاغة ،تح محمد محيى الدين عبد الحميد ،مكتبة محمد على صبيح وأولاده، القاهرة، د.ت.صـ ١٠٦ .

[٥] عبد الرازق أبو زيد زايد، علم المعاني بين النظرية والتطبيق، مكتبة الشباب القاهرة، ط٢، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.صـ ٧٣ .

إن نظرة لأسلوب الاستفهام هذا في سياقه تقول غير هذا . فلنضعه في سياقه : **(وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا * أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا * قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا)** (الإسراء/٣٩: ٤٣) .

إن الأسلوب وارد في سياق بيان وحدانية الله-تعالي - ونفي تعدُّد الآلهة في إطار من التهديد والوعيد في الآية السابقة له **(فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا)** ومن النكير الشديد عليهم والتقريع والتوبيخ لافترائهم هذه الفِرْية علي الله -تعالي - ولذلك عقّب علي هذا الاستفهام بقوله: **(إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا)** فهذا استعظام للقول الباطل الذي قالوه بنسبتهم البنات لله – تعالي- دون علم أو حُجّة، ثم عادت الآيات بعد هذا الاستفهام لتؤكد علي بطلان تعدد الآلهة بسوقها هذه الحجة البالغة :**(قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً)** .

إنه يستوي في الإثم من يجعل مع الله إلها آخر أو يقول بتعدد الآلهة أو يدّعي نسبة البنات إلي الله ، إذن، يستوي الجميع في التهديد والوعيد ، وهذا الوعيد إنما هو لا فترائهم علي الله هذا القول العظيم ،ووعيد الله لهم جميعا ناتج عن افترائهم علي الله ما يدعون، سواء عن نسبة البنات، أو ادعاء وجود آلهة مع الله تعالي .ولولا أنهم قالوا ذلك لم يكن الله – تعالي- ليتهدّدهم ويتوعّدهم بالإلقاء في جهنم ملومين مدحورين ، وإذا كانوا قد قالوا ذلك بلا علم أو برهان؛ فهم أهل لأن يُوبّخُوا ويعنّفوا ؛ لافترائهم علي الله ما ليس لهم به علم .

فإن مجرد التكذيب كغرض للاستفهام في هذه الآية الكريمة ، ليس له كبير قيمة ، لأن التكذيب، وإن فهم من السياق، ليس مقصودا في ذاته؛ إذ هم يعتقدون هذا القول ، فوجب **أن**

يقترن بالتكذيب التهديد والوعيد والتوبيخ ، فإن من يفتري مثل هـذه الفرية لا يردعه مجرد تكذيبه،والمرء حين يخطئ ، ثم يصر على خطئه ،ويدافع عنه من دون علم ؛ فهو أهل للتوبيخ علـي موقفه هذا؛ لأنه استمساك بخطأ جسيم دون استناد إلي علم أو دليل .

إذا كان هذا دليلا منطقيا فإن في السياق ما يؤيد هذه المعاني الأخرى؛ كإلقائهم في جهنم، و لم يكتف بالإلقاء، بل هو إلقاء الملومين المدحورين، وكتأكيد قولهم هذا القول العظيم **(إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا)** بإن واللام .

وبعض البلاغيين قد يخرج أحيانا عن أسر هذه الرغبة في التقنين فيتحدث عن الإنكار فحسب ، دون ذكر هذه التقسيمات ، استنادا إلي ذوق القارئ وبلاغته كما فعل صاحب " جواهر البلاغة [٦] ،غير أن شارح الكتاب ومحققه تستهويه هذه الرغبة فيقول معقِّبا ومستدركا علي الهاشمي هذه التقسيمات يقول : " اعلم أن الإنكار إذا وقع في الإثبات يجعله نفيا كقوله تعالي : **(أَفِي اللّهِ شَكٌّ)** (**إبراهيم / ١٠**) أي لا شك فيه ، وإذا وقع في النفي يجعله إثباتا نحو قوله تعالي :**(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى)** (**الضحى / ٦**) أي قد وجدناك . وبيان ذلك أن إنكار الإثبات والنفي نفي لها .ونفي الإثبات نفي ، ونفي النفي إثبات ،ثم الإنكار قد يكون للتكذيب نحو **(أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى)** (**القيامة / ٣٦**) وقد يكون للتوبيخ واللوم علي ما وقع نحو : **(قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ)** (**الصافات /٩٥**) وهذه الآية من كلام إبراهيم –عليه السلام – لقومه حين رآهم يعبدون الأصنام من الحجارة " [٧] .

والاستفهام في قوله - تعالي- علي لسان إبراهيم–عليه السلام – يتضمن معاني أخر ؛ فهذه الآية من كلام إبراهيم–عليه السلام – في محاجتهم له وسؤالهم إياه عن كسر الأصنام ، فقد كسر عقولهم بهذا السؤال . و الآية في سياقها :**(فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا**

[٦] انظر:جواهر البلاغة:للهاشمي ،شرح وتح حسن حمد، طبعة دار الجيل، ٢٠٠٢م،ص٦٦ ٢.

[٧] انظر السابق، ص ٦٦ هامش ٢ .

تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ* فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ* قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات / ٩١ : ٩٦) .

فإفادة الاستفهام معني التوبيخ واللوم إنما هي مستفادة من ربط هذه الآية بالتي تليها **(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)** فهنا محطّ التوبيخ واللوم : أهم يعبدون أصناما ينحتونها بأيديهم ويتركون خالقهم وخالق ما ينحتون .

لكننا إذا تدبرنا هذا الاستفهام في سياق الآيات ككل ، بعد هذا التعجب والدهشة والضجر والضيق من هذه الآلهة المزعومة :**(فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) (الصافات / ٩١ : ٩٣)** - إذا تدبرناه في هذا السياق وجدناه يحمل معاني أخر، ولاسيما إذا أدركنا أنه أتي في سياق الحوار حول أصنامهم وعدم أحقيتها بالعبادة ، وفي سياق التدليل علي هوانها وحقارتها وعجزها ، بل حتى لبيان انحطاطها عن بلوغ مرتبة الحيوان أو الإنسان**(أَلَا تَأْكُلُونَ)** و **(مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ)**.أهم هذه المعاني : تنبيههم علي خطأ ما هم عليه وحثهم علي الرجوع إلي عقولهم لإعمالهم ، إذ كيف يعبد ما يصنع بالأيدي؟!

والاستفهام بهذا يستثير فيهم آله التفكير ليتدبروا بها أمرهم ، فأما وقد وأعرضوا وتمادوا في غيّهم بعد أن ذكروا بما لا يقره العقل السليم ، فهم حينئذ أهل للتوبيخ واللوم .

هذه المعاني أولي أن تُفهَم وتُستَشفُّ من هذا الاستفهام أولا قبل التوبيخ واللوم ؛ فالرسل إنما بعثوا ليأخذوا بأيدي الضالين إلي الهداية برفق ولين ابتداءً ، كما قال الحق لموسي عليه السلام وأخيه هارون: **(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه /٤٣ - ٤٤)**؛ فاستثارة عقولهم لِتُنَبِّههم علي ما هم عليه من خطأ أولي في خطابهم ابتداء من توبيخهم ؛إذ غالبا لا يحقق التوبيخ هدفه ،

إذا كان المُوَبَّخُ بمثل ما كان عليه قوم إبراهيم – عليه السلام – من الجهل والعناد والمكابرة .

هذه المعاني أو الدلالات الثرية التي يؤديها أسلوب الاستفهام تدحض ما درج عليه كثير من البلاغيين؛ حيث يذكرون لكل استفهام معني واحدا : يذكرون المعني والشاهد عليه أو العكس ،وهذا يأخذ بنا إلي التساؤل التالي:

هل لأسلوب الاستفهام معني واحد ؟

لقد كان صاحب كتاب المعاني الثانية في الأسلوب القرآني مصيبا ؛ إذ تحدث عن معانٍ للاستفهام في بعض استفهامات الكتاب العزيز ، فبعض البلاغين_علي سبيل المثال- يقولون في قوله تعالي: **(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى* وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) (الضحى/٦: ٨)** - يقولون: الاستفهام فيه للتقرير " أي قد وجدناك" [٨]، لكنه - أي صاحب كتاب المعاني الثانية في الأسلوب القرآني - يري فيه معني التذكير أيضا . يقول : "ومعني الاستفهام : اذكر يتمك،واذكر ضلالك ؛ فقد كنت يتيما وضالا وعائلا، فآواك الله ،وهداك ،وأغناك ، فمهما يكن من شيء ، علي ما خيلت ، فلا تنسَ نعمة الله عليك في هذه الثلاث ، واقتدِ بالله ، فتعطف علي اليتيم؛ فقد ذقت اليتم وهوانه ، ورأيت كيف فعل الله بك ،وتَرَحَّمْ علي السائل ، وتفقدْه بمعروفك، ولا تزجره عن بابك ،كما رحمك ربك، فأغناك بعد الفقر ، وحَدّثْ بنعمة الله كلها ، ويدخل تحته: هدايته الضُّلّال ، وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا **بالله U**" [٩] .

ويقول أيضا :" وفيه من المعاني الأخرى أيضا : أنه يقتدي بربه ، وأن أمته تقتدي به في مسالك الخير؛ لتصل إلي النموذج الذي خلقه الله فيه أو ما يشارفه، ويقرب منه، وتِعْداد هذه النِّعم يتطلب الشكر عليها ؛لأن جحود النعم نكران سخيف في عالم الإنسان" [١٠]

---

[٨] انظر: السابق ،نفسه .

[٩] انظر: د /فتحي أحمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني منشأة المعارف بالإسكندرية،ط١، ١٩٧٦م. ص ٣٦٦ – ٣٦٧ .(و هذا النقل فيه جزء نقله د.فتحي من الكشاف)

[١٠] المصدر السابق، ص ٣٦٧ .

ونري فيه معاني أخر؛ إذ يحمل الاستفهام معني التكريم والتشريف والامتنان من الله تعالي على رسوله e ؛ إذ القصد ليس مجرد التقرير – فيما أري – بل هو التنبيه على أن هذا الرسول تربية الرحمن الرحيم وصنعته، فهو الذي أواه وهداه وأغناه – فأسند الفعل إلى ضمير الغيبة في الآية العائد على "ربك" في قوله- تعالي-: **(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) (الضحى/ ٥)** وإسناد الفعل إلى الله U تشريف وتكريم للنبي e إذ امتنانه U بهذه النعم الثلاث على رسوله e هو تكريم له وتشريف وإعلاء شأن.

وسياق الآيات الكريمة يوحي بهذا، بل يصرح به، إذ أتي الاستفهام تعقيبا تاليا على المترلة الرفيعة التي بشر بها صلي الله عليه وسلم: أي مترلة الشفاعة العظمي،نعني قوله تعالي: **(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)**.

فكأن القصد أنك يا محمد e موضع عنايتنا ورعايتنا وتكريمنا وتشريفنا في الآخرة، كما كنت محط عنايتنا وتكريمنا وتشريفنا، إذ مننا عليك فآويناك يتيما، وهديناك إذ كنت ضالا، وأغنيناك بعد فقر.

إن البلاغيين دأبوا علي أن يجعلوا للاستفهام معني واحدا، وهذا ما تجده واضحا حينما تطالع المعاني أو الأغراض التي جعلوها للاستفهام، فلكل استفهام غرض واحد، ويكفي أن تطالع مثلا كتاب "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع" تحت هذا العنوان [١١] وهذا ناتج عن اعتماد البلاغة العربية على طريقة المثل والشاهد الذي يبتر من سياقه أومن قصيدته.

فمعني التكثير للاستفهام، مثلا ، قال به بعض البلاغيين، وأغلبهم ينقلون للتمثيل له، بعضهم عن بعض، قول أبي العلاء المعري: [١٢]

صاح، هذي قبورنا تملأ الرحـــــب فأين القبور من عهد عاد ؟

[١١] انظر جواهر البلاغة، طبعة دار الجيل، ص ٦٥،٦٦ .

[١٢] انظر السابق: ص ٦٧، وعلوم البلاغة للمراغي، ص ٧٥، وعلم المعاني بين النظرية والتطبيق. ص ٧٨.

أكل ما يحمله الاستفهام هنا من دلالات أو معان التكثير؟! إن التكثير مستفاد أصلاً من صدر البيت قبل عجزه هذا، في قوله:" هذي قبورنا تملأ الرحب"، فإذا لم يفد الاستفهام سوي الكثرة فسيصبح حينئذ تكرارا للمعني السابق، وإذا صار كذلك صار لغوا. إن هذا معني ثانوي.

إن الاستفهام يحمل دلالات أعمق من هذا، إن الشاعر يستهدف من وراء تساؤله توجيه نظر صاحبه المُتَخَيَّل، وربما يعني نفسه، إلى حقيقة أن الأرض على اتساعها إنما هي قبور السابقين، وأن أديمها إنما هو بقايا رفات أصحاب هذه القبور.

وعليه فالتساؤل يستثير في المتلقي النهاية الحتمية لحياة كل إنسان، وهي الموت والفناء،فهو نهاية كل البشر: أن يموتوا ويدفنوا في الأرض ثم التفكير في حقيقة الآخرة من طرف خفي فأين صارت أجساد السابقين المدفونة في قبورهم، فإذا استشار السؤال ذلك في الإنسان أو المتلقي بعثه على التفكير في حقارة هذه الحياة، وأنه لا قرار له فيها ولا استقرار، وأنه راحل منها لا محالة، وصائر إلى قبور هذه الأرض كالسابقين، فينبغي عليه،إذن،أن يفكر في العاقبة، وفيما بعد الموت من حساب تكون نتيجته إما جنة وإما سعيرا، فإذا فكر الإنسان في هذه المعاني تيقّن أنه مخلوق حقير أصلة من تراب ونهايته إليه،فلا ينبغي له أن يتكبر أو يعاند هذه الحقيقة.

ويزعم الباحث أن الشاعر ما دار بخلده أن يدل تساؤله هذا على التكثير الذي وضعه البلاغيون غرضا لاستفهامه هذا، بل لم يهدف الشاعر من وراء تساؤله إلا أن يستثير تلك المعاني التي أشرنا إليها ، وأهمها معني التفكّر في الموت الذي يحصد الناس من عهد آدم – عليه السلام- بكل ما يستتبعه التفكير في حقيقة الموت من تفكير في الدنيا وحقارتها، وغايتها، وما ينبغي أن يتصف به المؤمن بهذه الحقيقة من سلوكيات.

ومما يؤيد هذا الفهم أن نعيد قراءة البيت في إطار سياقه الشعري:

يقول أبو العلاء المعري: (١٣)

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي   نَوْحُ بَاكٍ وَلاَ تَرَنُّمُ شَادِ

وَشَبِيهٌ صَوْتُ النَّعِيِّ إِذَا قِي   سَ بِصَوْتِ البَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ

أَبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمَامَةُ أَمْ غَنْ   نَتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا المَيَّادِ

صَاحِ هَذِي قُبُورُنَا تَمْلأُ الرُّحْ   بَ فَأَيْنَ القُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ

خَفِّفِ الوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْ   أَرْضِ إِلاَّ مِنْ هَذِهِ الأَجْسَادِ

وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ العَهْ   دُ هَوَانُ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ

سِرْ إِنِ اسْطَعْتَ فِي الهَوَاءِ رُوَيْدًا   لاَ اخْتِيَالاً عَلَى رُفَاتِ العِبَادِ

رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا   ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الأَضْدَادِ

تَعَبٌ كُلُّهَا الحَيَاةُ فَمَا أَعْ   جَبُ إِلاَّ مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ

إِنَّ حُزْنًا فِي سَاعَةِ المَوْتِ أَضْعَا   فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ المِيلاَدِ

واضح أن التساؤل استثار الشاعر نفسه فجاشت نفسه بكل تلك المعاني، ولذلك اتجه في البيت التالي إلى مخاطبه أو صاحبه ناصحا إياه أن يسير على الأرض بتواضع، فأديم الأرض هو من هذه الأجساد، بل تداعت المعاني عنده متأثرا بهذا الاستفهام؛ لتشمل الحياة كلها وفائدتها، ومقارنة ما يعانيه المرء فيها أو عند موته بسروره عند ولادته.

ولذلك، يؤكد الباحث على ضرورة فهم أسلوب الاستفهام من خلال السياق الوارد فيه. وأعني السياق الكلي للنص، وليس الآية أو البيت الشعري المفرد، فلا ينبغي في فهم الأسلوب أن نتوقف عند الجملة فحسب (١٤) كما ينبغي التنبيه إلى ما يمكن تسميته باستنطاق النص أو إعادة

(١٣) انظر: د/هاشم صالح مناع ، روائع من الأدب العربي (العصري الجاهلي ،الإسلامي ، الأموي، العباسي)، منشورات دار ومكتبة الهلال،.بيروت ، ط ١، ١٤٤٠هـ/ ١٩٩٠م ، ص ٢٥٦-٢٦٦

(١٤) انظر: د. عد الرازق أبو زيد ، علم المعاني بين النظرية والتطبيق. ص ٧٠

قراءته: فكما أن للصياغة دورها في أسلوب الاستفهام، فكذلك لطريقة إلقائه وتنغيمه دور مهم في تحديد معاني الاستفهام البلاغية.

فإذا استعدنا تلاوة الآية الكريمة **(فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) (التكوير / ٢٦) في سياقها تبدت لنا معاني أخر سوي ما يقول** به **البلاغيون في هذا الاستفهام من التنبيه على الضلال** [١٥] أو التنبيه على ضلال المخاطب [١٦] أو التنبيه على ضلال الطريق[١٧]. **يقول تعالي: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ) (التكوير / ١٥:٢٨)**

وهذا السياق يسبقه مباشرة مشهد بدء القيامة: **(وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ *وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ* وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ* عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ* فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ....) (التكوير / ١١:١٥)**.

إنه مشهد تكوير الشمس وانكدار النجوم وتسيير الجبال وحشر الوحوش، وتسجير البحار، وهي كلها من مشاهد بدء القيامة ، ثم عُقِّبت ببيان نتيجة طريقين: طريق ينتهي بتسعير جهنم للسائرين فيه، وطريق ينتهي بدخول الجنة للسالكين فيه.

بهذه الأحوال افتُتحت السورة ،وبهذه النتيجة تنتهي هذه الأهوال، وعُقّبت بهذا القسم:"أن محمدا الذي صاحَبكم مدة طويلة، وعرفتم خلقه، ليس مجنونا كما يفتري بعضكم، وأنه يعرف

---

(١٥) انظر:الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ،تقديم وشرح /علي بوملحم،منشورات مكتبة الهلال،بيروت،، الطبعة الأخيرة ،٢٠٠٠م ص ١٣٧ .

(١٦) انظر: علوم البلاغة، ص ٧٢.

(١٧) انظر: جواهر البلاغة،ص ٦٧.

جبريل حق المعرفة، فهو واثق بما يلقيه إليه، ولقد رآه في صور مختلفة، حتى صورته الحقيقية وأنه e ليس حريصا على ما عنده من الغيب بخلا به، فيستحيل عليه أن يكتم عنكم شيئا طمعا في أخذ أجر منكم، كما يفعل الكهان، وليس الذي جاء به رسولنا قول شيطان معلوم –كما يقول بعضكم – وإذا كان الأمر كما ذكر فأي طريق تسلكونه بعد ما أحاط بكم البرهان من جميع جهاتكم؟ فأين تذهبون في القول: إنه إفك وإنه أساطير الأولين؟ لا شك أنكم ذاهبون إلى ضلال"[(١٨)].

أقول: إذا كانت هذه هي المقدمات: الابتداء بمشاهدة القيامة المروعة المفزعة، ثم القسم على صدق النبي e ،وإقامة الحجة عليهم من معرفتهم به e .... إذا كانت هذه هي المقدمات أو القرائن، ثم تبعها أسلوب الاستفهام هذا أفيكون المغزى منه ، فحسب ، تنبيه المشركين على ضلالهم؟! كلا ، إنه يستتبع معاني أخر ،أهمها:" تصوير حال الكفار، وإثارة مشاعرهم،ولفت انتباههم، ودعوتهم إلى النظر إلى ما هم فيه من ضلال لعلهم يقلعون عنه" [(١٩)] .

فكأن القرآن بهذه الدعوة لهم إلى التّدبُّر والنظر إلى عاقبة مسلكهم ونهاية طريقهم يقول لهم: اختاروا أحد طريقين قد وصفت لكم، **(وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ* وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) (التكوير / ١٢:١٣)** فإن سلكتم الطريق الأول فانتظروا هذه الأهوال ومشاهد القيامة التي وصفت لكم من قبل، فالاستفهام، إذن ، يحمل ،كذلك، معني التحذير والتهديد والوعيد بهذه النهاية التي ستترتب على مسلككم أي طريق منهما.

هذا الثراء الفني في دلالات أسلوب الاستفهام لست أول الملتفتين له، وإن يكن للباحث من فضل، فتأكيده على وجوب التعامل مع أسلوب الاستفهام فنيا على أساس هذا الثراء الذي يمكن أن يحمله أسلوب الاستفهام فيؤدي معاني كثيرة وليس معني واحدا، كما عودتنا كثير من كتب البلاغة العربية.

---

(١٨) د/ عبد العزيز عبد المعطى عرفة،من بلاغة النظم العربي: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص١١٠ - ١١١،

(١٩) السابق، ص ١١١

وليت الأمر يقتصر على تضيق دلالة الاستفهام في معني واحد، بل ربما كان المعني المشار إليه غير دقيق؛ فمثلا -ومع إكبار الباحث واعترافه بفضل صاحب جواهر البلاغة ورسوخ قدمه في علوم البلاغة – تجده يمثل هذا التيار: فيرصد لك أغراض الاستفهام أو المعاني التي يخرج إليها ومنها مثلا: الاستئناس [٢٠]، ويمثل بقوله تعالي: **(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) (طه /١٧)**،وهذا غير دقيق فالاستئناس استفعال: أي طلب الأُنس، وأحد معاني "استفعل" الطلب حقيقة أو مجازا [٢١]، وليس هذا بمراد هنا؛فالسائل هو الحق U ولا يجوز أن يطلب من موسى الأُنس ؛ لانتفاء الاحتياج في حق الله تعالي، ولا يمكن أن يكون الاستفهام حقيقيا؛ لاستحالة عدم علم الله بما في يد موسى، فهذا مما لا يجوز في حق الله تعالي.

ولذا لا ينبغي أن يقال: إن قصد السؤال هنا الاستئناس، بل الإيناس فالفاعل له هو الله U، والمستأنِس بالسؤال هو موسى عليه السلام فالمعني آنس الله موسي بهذا السؤال على فهم البلاغيين، وهذه إحدى دلالات أو معاني صيغة أفعل (أي آنس هنا) أي التعدية وهي تصيير الفاعل بالهمزة مفعولا [٢٢] .هذا ما أدركه جيدا صاحب كتاب المعاني الثانية لأسلوب القرآن، فجعل الإيناس وليس الاستئناس، هنا، من معاني هذا الاستفهام. يقول:" والإيناس نحو: **(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) (طه/١٧)** وقال ابن فارس المراد به الإفهام، فإن الله تعالي قد علم أن لها أمرا قد خفي على موسى -عليه السلام- فاعلم من حالها ما لم يعلم، وقيل: هو للتقرير،فيعرف ما في يده حتى لا ينفر إذا انقلبت حية" [٢٣]، فأضاف معنيين للاستفهام هنا سوي الإيناس أولهما: صرح بنسبته إلى ابن فارس وهو الإفهام، و الثاني أعرض عن ذكر صاحبه، وهو التقرير، وهي معاني مختلفة لهذا السؤال استشفت منه ،بحسب ذوق كل ناظر فيه، وهذا ما قصده الباحث بثراء هذا الأسلوب وغناه الفني.

---

(٢٠) انظر: جواهر البلاغة،طبعة دار الجيل، ص ٦٦

(٢١) انظر:الشيخ أحمد الحملاوي ،شذا العرف في فن الصرف،المكتبة الثقافية ،بيروت، ص ٤٤.

(٢٢) انظر السابق ، ص ٣٩

(٢٣) المعاني الثانية للأسلوب القرآني. ص ٣٧٣-٣٧٤ .

والاستفهام يحتمل معاني أخر. بل يزعم الباحث أن القول: إن غاية الاستفهام هنا الإيناس قول غير دقيق، وكذلك التقرير، ذلك أهم نظروا إلى الآية موضع الاستفهام دون نظر إلى السياق الذي وردت فيه.

والآية في سياقها: **(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى *قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى* قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى* وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى* لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى) (طه / ١٧ : ٢٣).**

إن الآيات كلها تتمحور حول هذا السؤال عن العصا ،وذلك للأمر الجلل المعجز الذي ستقوم به هذه العصا في دعوة موسى فرعون. إنها ستصير آية، كإخراج يد موسى بيضاء من غير سوء بعد ضمها إلى جناحه، ولنلحظ قوله تعالي، **(آيَةً أُخْرَى)** .

إن ما سيصير بعد طرح السؤال على موسى عليه السلام يكشف لنا عن القصد من ورائه. إن الله يعلم أن ما بيد موسى هي عصاه، وموسى نفسه يعلم هذا، لكن موسى لا يعلم ،أو لم يكن يعلم -حتى هذه اللحظة- القوة الكامنة التي أودعها، أو سيودعها الله في عصاه، فليس القصد إذن أن يأنس موسى بالسؤال أو يثبت له أن ما بيده عصاه ، فهو يعلم هذا يقينا، ولو اقتصر الأمر في الآيات على السؤال والجواب لكان جائزا أن يقال: إن المعني الدقيق للاستفهام هنا الإيناس أو التقرير. لكن السياق لم يقتصر على هذا. بل بعد ما أجاب موسى طلب إليه أن يلقي عصاه، فإذا بها تتحول إلى حية تسعي. حقيقة ، ثم أمر موسى بأخذها وعدم الخوف منها؛ لأن الله سيعيدها إلى حقيقتها الأولي: (أنها عصا)

وهذا ما كان يرمي إليه السؤال أن يلتفت موسى وينتبه إلى هذا المشهد التدريبي له – والذي سيمر به فيما بعد – فينتبه إلى حقيقة أن ما بيده ليست إلا عصا، أو هذه حقيقة يعلمها؛ لأنها ستصبح لها حقيقة أخري في إعجاز إلهي. ففي السؤال تهيئة وتنبيه وتدريب لذهن موسى عليه

السلام – إلى ما هو كائن في هذه العصا من قدرة إلهية أودعها الله فيها. فيتهيأ ذهن موسى إلى حدوث المعجزة الدالة على قدرة الله تعالي : كي يستقر في نفسه أنها من قدرة الله تعالي، وليست من قبيل السحر أو التخييل، ولا سيما أنه سيتعرض لهذا الموقف فيما بعد.

وفي السؤال ، كذلك ،الارتقاء بموسى عن مرتبة الخوف ودفع لما قد يعتري موسى من خوف فيما بعد، ولنلحظ قوله تعالي: **(خُذْهَا وَلَا تَخَفْ)** ثم قوله تعالي في السورة بعد ذلك بعد أن ألقي السحرة حبالهم وعصيهم فخيل إليه من سحرهم أنها حيات حقيقية: **(فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى) (طه /٦٧).**

فهذا السؤال عن العصا إنما كان تهيئة لموسى بلفت نظرة وتنبيهه إلى القدرة الإلهية التي سيمنحه الله تعالي إياها في تلك العصا؛ ليستطيع مجابهة السحرة ومواجهتهم ؛ وليقتلع هذا الخوف من نفس موسى عليه السلام.

فهذه – فيما يري الباحث – قيمة الاستفهام الحقيقة هنا وبلاغته ولنلحظ تأكيدا لهذا الفهم قوله تعالي في الآية التالية للآية السابقة **(قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) (طه / ٦٨:٦٩)** إنه حتى في موقف التحدي قد أخذه شيء من الذهول والخوف واعتراه ما يعتري البشر، فقد خُيِّل إليه أن حبال السحرة وعصيهم قد صارت حيات، فلهذا الذهول وتلك الدهشة والخوف الذي اعتري موسى – عليه السلام لم يلق العصا مع تنبيه الله له بما أودعه فيها من إعجاز، ولذا عبر القرآن بقوله :**(وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ).**

إن هذا السؤال كان يستهدف بناء شخصية موسى – عليه السلام، وتربيتها وتهيئتها إلى ما ستواجهه من مواقف صعبة، لينتزع هذا الخوف من فرعون **(قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه / ٤٥-٤٦)**. أو من السحرة وما أوتوا من سحر عظيم **(فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى) (طه / ٦٧)**

ولعل ابن فارس كاد يلمح أو يومئ إلى هذا الذي نري في قوله السابق: أن المــراد مــن الاستفهام: "الإفهام، فإن الله قد علم أن لها أمرا قد خفي على موسي فأعلم من حالها ما لم يعلــم"، فلعله كان يعني إفهام موسى – عليه السلام – حقيقة العصا وحقيقة ما استودعه فيهــا مــن قــوة كامنة. فنبهه ولفت نظره وهيّأه إلى ما اختصها الله به من قوة معجزة ليتهيأ إلى ما ســيحدث بينــه وبين فرعون وسحرته.

وقولنا: إن الأولي أن يكون مغزى هذا الاستفهام الدلالة على لفت نظر موسى وتنبيهه إلى حقيقة العصا وإلى ما سيودعها الله فيها من قوة إعجاز وإفحام للمعاندين المستكبرين مــن فرعــون وقومه لا الإيناس أو التقرير، إنما نعني به أنه الأوضح والأظهر والأنسب للسياق الوارد فيه الاستفهام لا أن هذا صواب وذاك خطأ .

ونظير هذا قول صاحب كتاب "المعاني الثانية للأسلوب القــرآني"، إذ ذكــر أن قــصد الاستفهام في قوله تعالي: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْــرَاهِيمَ فِــي رِبِّــهِ) (البقــرة /٢٥٨) –** التنبيه [٢٤]، ثم أعرض عنه فقال: "الأوضح في المعني الثاني وراء الاستفهام التعجيب من حال نمــروذ اللعين، الذي تسول له نفسه أن يقف أمام إبراهيم -عليه الــصلاة والــسلام- موقــف المحاجــة والمخاصمة معتقدا أن ما يملك من سلطان وجاه سوف يكون سببا لإفحام نبي الله، وهذه المحاجــة تكشف عن غروره وغباوته وإعجابه بقدرته". [٢٥]

ثم يأخذ في تفسير كيف كان غبيا مغترا معجبا بقدرته حائرا مبهوتا مستدلا على وضوح التعجيب وأولويته كمعني ثان لهذا الاستفهام يقول: "وهذا الموقف يقتضي التعجيب من حال بــشر يعتقد في نفسه الإلوهية ويذهب مذهب المحاجة والمجادلة ، ثم تدركه الحيرة، فلم يُحِرِ من جواب، ثم لا يؤمن بعد ذلك، ويطفئ شمعة التفكير الحر بين جنبيه؛ ليعيش في ظلام الكفر الدائم، ولو أنه فكر

---

[٢٤] انظر : المعاني الثانية للأسلوب القرآني ص ٣١٧ .

[٢٥] المصدر السابق، ص ٣٧١ .

بعد هذا الحوار، وبعد أن فهم كلام إبراهيم عليه السلام .... لو أنه فكر قليلا، واستمد قوته من نور العقل الذي يسير به المرء في طريق الدين لما كان هناك مصدر للتعجيب" [٢٦]

وهذا ما قال به من قبله كلٌّ من الزمخشري وأبي حيان الأندلسي، حيث قال الزمخشري:"ألم تر: تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به"[٢٧] ، وقال أبو حيان – وقد أحال الكلام إلى قوله تعالي **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ...) (البقرة / ٢٤٣)** [٢٨] قال مضيفا إلى التعجيب معني التنبيه والتقرير: "وهذه همزة الاستفهام دخلت على حرف النفي، فصار الكلام تقريرا، فيمكن أن يكون المخاطب عَلِم بهذه الصفة قبل نزول هذه الآية، ويجوز أن يكون لم يعرفها إلا من هذه الآية، ومعناه التنبيه والتعجيب من حال هؤلاء، والرؤية هنا علمية، وضُمِّنت معني ما يُتَعَدَّى بإلي ، فلذلك لم يتعد إلى مفعوليه، وكأنه قيل: ألم ينتهِ علمك إلى كذا. وقال الراغب: رأيت: يتعدي بنفسه دون الجار، ولكن لما استعير قولهم:ألم تر لمعني: ألم تنظر،عُدّي تعديته، وقلما يستعمل ذلك في غير التقرير، ما يقال: رأيت إلى كذا. انتهي. وألم تر، جري مجري التعجب في لسانهم" [٢٩].

أبو حيان يري التعجب هنا معني من معاني الاستفهام إلى جانب التقرير والتنبيه. وجميعهم (أي أبو حيان الزمخشري ود.فتحي فريد) يرون أن التعجب معني من معاني الاستفهام – على اختلاف بينهم – فالزمخشري يراه معني وحيدا، إذ لم يشر إلى غيره. وأبو حيان يراه إلى جِوار التقرير والتنبيه الذي يوافقه عليه د. فتحي فريد. يقول فتحي فريد: "وفيه مع ذلك، تنبيه وتحذير:

---

[٢٦] المعاني الثانية للأسلوب القرآني . ص ٣٧١- ٣٧٢

[٢٧] الزمخشري ،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،تح/عبد الرازق المهدي،دار إحياء التراث العربي،بيروت، لبنان،ط ١٤٢١،٢هـ/٢٠٠١م ،جـ ١ ،ص ٣٣٢

[٢٨] انظر:أبا حيان الأندلسي،البحر المحيط في التفسير،اعتنى به الشيخ عرفات حسونة، مراجعة صدقي محمد جميل،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،١٤١٢ه،١٩٩٢م ،ح٢ص ٦٢٤.

[٢٩] السابق، حـ٢ . ص ٥٦٠ .

تنبيه للغافلين عن نور العقيدة أن يتيقظوا، وتحذير للضالين المضلين، ألا تكون نهايتهم كنهاية نمـــروذ وغيره ممن حادت بهم الطريق إلى هاوية الجحيم" [٣٠]

فهو يري فيه تنبيها ويزيد عليه معني التحذير. فاجتمع لهذا الاستفهام من المعاني البلاغيـــة أربعة: هي التعجيب والتقرير، والتنبيه والتحذير. بل يزيد الباحث عليها معني الدعوة إلى الاعتبـــار بحال كل من إبراهيم والنمروذ، والتدبر في عاقبتها كأنموذجين: للموحد والكافر.

ولنعد قراءة الاستفهام في سياقه الكلي: يقول تعالي: **(لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّـــهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَـــآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـــئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـــي وَيُمِيـــتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـــي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْـــرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَـــةٌ عَلَـــى عُرُوشِهَا...) (البقرة / ٢٥٦:٢٥٩)** إن الاستفهام وارد في سياق بيان من يستمسكون بـــالعروة الوثقى المؤمنين الموحدين بالله الكافرين بالطاغوت، الذين هم أولياء الله؛ فيخرجهم من الظلمات إلى النور: نور اليقين والحجة والبرهان الساطع ويمثلهم -إبراهيم عليه السلام – ومن يكفـــرون بـــالله ويؤمنون بالطاغوت؛ فيضلهم ويخرجهم من نور الحقيقة إلى ظلام الجهل والعناد والمكابرة والعنـــاء والحماقة، وهؤلاء يمثلهم النمروذ المتكبر المتأله.

كما أن السياق معنيٌّ ببيان عاقبة كل منهما تصريحا وتضمينا: فقد صرح بعاقبة الكافرين أنهم أصحاب النار خالدون فيها، وعلى النقيض تضمينا يكون جزاء الموحدين ، فهـــم أصـــحاب الجنة، هم فيها خالدون.

---

[٣٠] المعاني الثانية للأسلوب القرآني . ص ٣٧٣.

فإذا جاء الاستفهام **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ.....)** في هذا السياق، فهو يحمل دلالة عميقة هي دعوته إلى الاعتبار: دعوة المشركين على عهد النبي e إلى الاعتبار بحال كل من إبراهيم والنمروذ اللعين؛ إذ هما أنموذجان للموحد والكافر، للداعي إلى الخير والحق والهداية والمدعو المعرض المتكبر المعاند، بل فيه تعريض بغباوة المشركين المعاندين دعوة الرسول إليهم إلى الإيمان؛ إذ هذا الملك كان أقوي منهم وأعتى، فماذا كان مصيره وعاقبته؟!

فإن الخطاب يجوز"أن يكون للنبي e ويجوز أن يكون لكل سامع"[٣١]، بل هم أولي بهذا الخطاب؛ فالقرآن ما نزل إلا لهدايتهم وأمثالهم في كل زمان ومكان؛ فهم أول معْنِيٍّ بالقرآن وما يضرب فيه من أمثلة ونماذج تمسُّ وتر عنادهم واستكبارهم ورفضهم ومكابرتهم وإصرارهم على الشرك.

ولعل أبا حيان الأندلسي كان هذا المعني يحوم في ذهنه، وهو يحاول تبيان مناسبة الاستفهام لما قبله. يقول: "ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك" مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالي: لما أخبر أنه ولي الذين آمنوا، وأخبر أن الكفار أولياؤهم الطاغوت، ذكر هذه القصة التي جرت بين إبراهيم والذي حاجه، وأنه ناظر ذلك الكافر فغلبه وقطعه، إذ كان الله وليه. وانقطع ذلك الكافر وبهت، إذ كان وليه هو الطاغوت: **(فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)** **(المائدة/٥٦)** **(أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** **(المجادلة /٢٢)** فصارت هذه مثلاُ للمؤمن والكافر اللذين تقدم ذكرهما" [٣٢] .

وإذا كان الأمر كذلك ففي هذا الاستفهام أيضا تثبيت وترسيخ لعقيدة الموحدين: أنهم على الحق،وأنهم هم الفائزون المنتصرون في النهاية،مهما كان عدوهم متجبرا مستكبرا في الأرض، قيد أن يكونوا على تلك العقيدة الراسخة كما كانت عند إبراهيم – عليه السلام .

---

[٣١] البحر المحيط . حـ٢ ص ٥٦٠

[٣٢] السابق ، حـ٢. ص ٦٢٤

والذي يؤكد ما نذهب إليه من هذه المعاني الثرية لهذا الاستفهام إصرار النص القرآني على تثبيت هذه المعاني في نفوس سامعيه المؤمنين؛ فقد عطف الآية التالية لهذا الاستفهام عليه. نعني قوله تعالى: **(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ....) (البقرة /٢٥٩)** "فجمهور المفسرين على أنه معطوف على قوله **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ)** على المعني، إذ معني: ألم تر إلى الذي؟ : أرأيت كالذي حاج؟ فعطف قوله: أو كالذي مر على هذا المعني، والعطف على المعني موجود في لسان العرب" [٣٣]،وقال الزمخشري: (أوْ كالذي) معناه: أو أرأيت مثل الذي مر، فحذف لدلالة (ألم تر) عليه، لأن كلتيهما كلمة تعجيب" [٣٤] .

وعلى هذا؛ فقد حذفت همزة الاستفهام والفعل الذي دخلت عليه، وهو تخريج حسن- كما قال أبو حيان الأندلسي-:"لأن إضمار الفعل لدلالة المعني عليه أسهل من العطف على مراعاة المعني، وقد جوز الزمخشري الوجه الأول" [٣٥]،وكذلك في قوله: "ويجوز أن يحمل على المعني دون اللفظ، كأنه قيل: أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية" [٣٦]

كلتا الآيتين بل كلا الاستفهامين يستهدفان من ضمن ما يستهدفان بناء عقيدة المؤمنين وتثبيتها وترسيخها، بإثبات قدرته على البعث والجزاء – وهذا ما وضح جليا في الآية الثانية بعد هذا الاستفهام في قوله تعالى: **(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة /٢٦٠)** إذ هذا ارتقاء

(٣٣) المصدر السابق، حـ٢ ص ٣٦٠-٣٦١ .

(٣٤) الكشاف،جـ ١ ، ص ٣٣٣-٣٣٤ .

(٣٥) البحر المحيط، حـ٢ ص ٦٣١

(٣٦) الكشاف،جـ ١، ص ٣٣٤،

في العقيدة من علم اليقين إلى عين اليقين. يقول أبو حيان:"وأما قصة إبراهيم فهي سؤال لكيفية إراءة الإحياء ؛ ليشاهد عيانا ما كان يعلمه بالقلب، وأخبر به نمروذ " [٣٧] .

كيف نتناول أسلوب الاستفهام ؟

مما قدمنا من نماذج تدلل علي الثراء الفني لأسلوب الاستفهام، نري لفهم أسلوب الاستفهام فهما جيدا واعيا، يستبطن دلالاته الثرية ، أنه ينبغي مراعاة ما يلي في التناول البلاغي لأسلوب الاستفهام:

أولا : معرفة النظم أو الصياغة التي صيغ بها أسلوب الاستفهام .

ثانيا: الإدراك الواعي والتام للسياق الكلي الوارد فيه الاستفهام، ونعني به السياق الكلي للنص وليس سياق البيت أو سياق الجملة فحسب .

ثالثا:التنبه لطريقة إلقاء الاستفهام؛ فللتنغيم دورة المهم في تذوق الاستفهام ومعرفة مراده باستنطاق النص ومحاولة تنغيمه.

رابعا: معرفة السائل والمسئول ، بل أحيانا معرفة مكانته وقدره .

خامسا:معرفة مكانة النص من حيث إنه نص إلهي أو نص بشري،فتعاملنا مع نص شعري يختلف تماما عن تعاملنا مع نص قرآني،أو نصوص الحديث الشريف الصحيحة. وذلك لتجنب الوقوع في المزالق ؛ فليس كل ما يصلح لأن نتعامل به من مناهج نقدية تطبق على الشعر أو النثر بأنواعه يصلح للتعامل مع القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف الصحيح .

وهذه أمر ضروري ؛ فعلي سبيل المثال ، يجب– أن نتعامل مع الاستفهام القرآني على هذا الأساس،وهو ما قرره بعض علمائنا مثل السيوطي حين قال : "قال بعض الأئمة: وما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام، فإنما يقع في خطاب الله علي معني أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو

---

(٣٧) البحر المحيط. حـ٢. ص ٦٤٢.

النفي حاصل" [٣٨] "فيستفهم عنه نفسَه تخبرُه به، إذ قد وضعه الله عندها، فالإثبات كقوله تعالي: **(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا)** **(النساء / ٨٧)** والنفي كقوله تعالي: **(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا)** **(الإنسان /١)** وكقوله: **(فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)** **(هود / ١٤)**.

ومعني ذلك: أنه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه، فإن الرب تعالي لا يستفهم خلقه عن شيء،وإنما يستفهمهم ؛ ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء، وهو أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن" [٣٩]

كذلك، فإن علينا أن نلتفت إلى السائل أو المستفهِم: فهل يصح أن نطبق ما قال به الإمام عبد القاهر الجرجاني حين قال: "ومن أبين شيء في ذلك (أي في التفريق بين تقديم ما قُدّم وتأخير ما أُخِّر) الاستفهام بالهمزة، فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: "أفعلت؟" فبدأت **بالفعل كان** الشك في الفعل نفسه،وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده ،وإذا قلت "أأنت فعلت؟" فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل، من هو، وكان التردد فيه"[٤٠].

- أقول: هل يصح أن نطبق هذه القاعدة على قوله تعالي: **(وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ)** **(المائدة /١١٦)**

فهل يجوز أن يكون هناك شك من جانب الله عز وجل في أن عيسى – عليه السلام – قد يكون قال هذا الكلام؟ إنه لا يعقل أن يكون الاستفهام حقيقيا بداية، ثم إن هذا – على اعتبار الاستفهام بلاغيا – يستحيل في حق الله عز وجل – ويتنافي مع قول الأئمة السالف الذكر.

ولذلك لم يسق هذه الآية شاهداً على كلامه، بل ساق قول قوله تعالي حكاية على لسان قوم إبراهيم– وهم بشر – يجري عليهم الشك والخلط والوهم **(قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا**

---

[٣٨] السيوطي،الإتقان في علوم القرآن،طبع المكتبة الثقافية ، بيروت، ١٩٧٣،ح٢ ،ص ٧٩.

[٣٩] المعاني الثانية للأسلوب القرآني. ص ٣٦٥.

[٤٠] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر ،القاهرة، (طبعة سنه ٢٠٠٠م)، (طبعة خاصة من مكتبة الخانجى لمكتبة الأسرة، بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب).. ص ١١١

إِبْرَاهِيمُ) **(الأنبياء /٦٢)** بالرغم من أن الصياغة واحدة في آيتي المائدة و الأنبياء:أي بتقديم الاسم (الفاعل في المعنى) والفعل ماض؟! قائلا: "لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له -عليه السلام- وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقر بأنه منه كان، وكيف، وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم: "أأنت فعلت هذا؟" وقال هو -عليه السلام –في الجواب:**(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ)** **(الأنبياء /٦٣)** ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب: فعلت أو لم أفعل" [٤١].

والذين تجاهلوا هذه الحقيقة، وتجاهلوا ما أشرنا إليه من ضرورة الالتفات إلى السائل والمسئول،ومعرفة مكانة كل منهما ، بل تجاهلوا إشارة الإمام عبد القاهر نفسه،ولم يفطنوا إلى إلحاحه على توجيه خطابه إلى مخاطَب أي إلى بشر في قوله: "فإذا قلت"، "فإنك إذا قلت" -وقعوا في خطأ عظيم .

فهذه إحدى الباحثات – والله يغفر لها – تقول بعد أن عرفت معني التقرير بأنه حَمْل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه، وحددت أماكنه بأنه قد يكون تقريرا بالفعل: نحو: أضربت عمرا؟ أو بالفاعل نحو: أأنت ضربت عمرا؟ أو بالمفعول نحو :"أعمرا ضربت ؟" [٤٢] – تقول:" والاستفهام: هو أن الاستفهام ممن لا يعلم لمن يعلم، أو يتوهم من العلم ، ليعلم، كقوله تعالي: **(أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي.....)** **(المائدة /١١٦)** أما التقرير ممن يعلم ليثبته على فعله، فيكون جزاء ، أو يتحقق أنه فعله عن قصد، كقوله تعالي. **(أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا)** **(الشعراء /١٨)** [٤٣]. انتهي كلامها.

إن الباحثة جعلت الاستفهام في قوله تعالي: **(وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي**

---

[٤١] دلائل الإعجاز، ص ١١٣

[٤٢] الهمزة في اللغة العربية. د. خالدية محمود البياع . طبع دار مكتبة الهلال ١٩٩٥م ، ص ٢٠٦ (وهذا الكتاب كان رسالة للباحثة تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراه إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة بيروت.)

[٤٣] المصدر السابق ، ص ٢٠٦

بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ *إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (المائدة/١١٦:١١٨).

إن الباحثة جعلته نظيرا للاستفهام الذي ذكرته من قبل في التقرير بالفاعل"أأنت ضربت عمرا؟ "،ولعلها لم ترَ فيه سوي تطابق الصياغة! ولعلها لم تفطن إلى الفارق الجوهري بين الاستفهام: وهو في السائل والمسئول، وفي مكانة كل منهما ، وفي الموقف، والسياق، وفيما ينبغي أن يربي عليه كل مسلم من معرفة ما يجب في حق الله ، وما لا يجب، ولعلها أخذت أنموذج الإمام عبد القاهر، و لم تفطن إلى إشارته، وإلى استدلاله بغير هذه الآية ، أو بغير هذا الاستفهام.

إن الباحثة جعلت الاستفهام حقيقيا فقد جعلته مقابلا للتقرير، وعلى هذا، فالله يطلب العلم من عيسى، يسأله؛ ليعرف، وليزيل شكه – **تنزه الله عن ذلك وتعالي علوا كبيراُ.(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)** **(الزمر/٦٧).**

إن عيسى – عليه السلام – فهم السؤال على معناه الذي ينبغي أن يُفْهم به ،وهو أنه وارد علي سبيل استنطاق عيسى نفسه بما يعلم من إدعاء النصارى هذا الكذب عليه تكذيبا لهم ، وتبكيتا على ما ادعوه، وردًّا على افترائهم هذا في حق الله ،وفي حق عيسى عليه السلام، ولذلك كان عيسى – عليه السلام – فطناً في جوابه،إذ أسند العلم المطلق**(قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)** (المائدة /١١٦).

فالاستفهام ،إذن، "للتقرير بما يعرفه عيسى -عليه السلام - من هذا الحكم، وهو أنه لم يصدر منه هذا القول ، وليس المراد التقرير بالفاعل فاعل لهذا القول؛ لأن ذلك مستحيل على عيسى عليه السلام" (٤٤)

فإذا كان الله عالما بالجواب وإذا كان عيسى عليه السلام عالما بما قال ،وأنه لم يقل هذا، بل **(مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)** فوجب أن يكون للاستفهام مغزى: هو أن يسأل الله – عز وجل-ويجيب عيسى -عليه السلام - فيجري الكلام مجري الاستفهام تبرئةً لعيسى-عليه السلام - وتكذيبا لقومه، وتقريعا وتبكيتا لهم على سبيل إلزامهم بالحجة الدامغة .

فأجري الكلام على عادة العرب في الخطاب تعريضا بالنصارى، والقرآن إنما نزل يخاطب العرب بلغتهم، بل هذا أسلوب يستعمله بلغاء الناس في خطابهم: ألا يحدث أن يجتمع معك اثنان، فيكون قد قال أحدهما في حقك مثلا قولا سيئا ، والآخر يعلم أن ثالثكم قد قال ذلك فيك ،فلا تعمد إلى من قال ذلك الكلام فعلاً، بل تتجه بخطابك إلى من لم يقل ذلك، فتقول له: أأنت قلت: إنني كذا؟ تبتغي من وراء ذلك التعريض بالآخر السامع وتبكيته وتأنيبه أو أن تتبين رد فعلله مراقبا حركة عينيه، لا تقصد بذلك المسئول بل السامع أو استنطاق المسئول بما يعلم ـــ بكيتا وتقريعا وتوبيحا للمغتاب السامع ؟

وهذا ما أدركه عيسى – عليه السلام: أن قومه هم المقصودون بهذا السؤال؛ لأنهم هم الذين قالوا ذلك، ولذلك قدم استحقاقهم للعذاب لافترائهم هذا، **(إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**وليس في السياق سوي هذا القول المشين لكي يؤاخذوا به كإثم عظيم يستحقون عليه العذاب.

(٤٤) انظر: عبد الفتاح لاشين ،المعاني في ضوء أساليب القرآن ، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٧٦م ،ص ١٥٩.

ليس القصد إذن الاستفهام حقيقة، وإنما القصد أن يجري الكلام مجري الاستفهام تبرئـــه لعيسى وتكذيبا لقومه، وإقامة للحجة عليهم وإلزامهم بها باســـتنطاق رســـولهم وتكذيبـــه إيـــاهم وشهادته عليهم. والله أعلم.

لذا نري وجوب مراعاة ما أسلفنا من منطلقات أو ضوابط لفهْم أسلوب الاســـتفهام فهمًا يستنبط ويستبطن دلالاته الفنية الثرية.

مصادر البحث :

- **أبو حيان الأندلسي** ، البحر المحيط في التفسير، اعتنى به الشيخ عرفات العشا حسونة، مراجعة صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت، ١٤١٢هـ،١٩٩٢م.
- **أحمد الحملاوي** ، شذا العرف في فن الصرف،المكتبة الثقافية ،بيروت .
- **أحمد مصطفي المراغى**،علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، المكتبة المحمودية التجارية والمكتبة التوفيقية،القاهرة ،ط ٦، ١٩٧٢م.
- **ابن فارس(أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا)** ، الصاحبى في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، تح/ السيد أحمد صقر،الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة،(سلسلة الذخائر،العدد/٩٩)،يوليو٢٠٠٣م.
- **ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي)**، لسان العرب، طبعة دار صادر ، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م،
- **الخطيب القزويني**، الإيضاح في علوم البلاغة ،تقديم وشرح /علي بوملحم،منشورات مكتبة الهلال،بيروت،، الطبعة الأخيرة ،٢٠٠٠م .
- **خالدية محمود البياع**، الهمزة في اللغة العربية .. طبع دار مكتبة الهلال ١٩٩٥م.
- **الزمخشرى** ،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،تح/عبد الرازق المهدي،دار إحياء التراث العربي،بيروت، لبنان، ط ٢،١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

- **السيد أحمد الهاشمي** ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح/ محمد التونجي-مؤسسة المعارف-بيروت-لبنان-١٩٩٩م/١٤٢٠هـ. و طبعة دار الجيل، شرح وتح حسن حمد، ٢٠٠٢م
- **السيوطي**،الإتقان في علوم القرآن،طبع المكتبة الثقافية،بيروت، ١٩٧٣.
- **سعد الدين التفتازاني(مسعود بن عمر بن عبد الله)**،شرح السعد المسمى مختصر المعاني في علوم البلاغة ،تح محمد محيى الدين عبدالحميد ،مكتبة محمد على صبيح وأولاده، القاهرة، د.ت.
- **عبد الرازق أبو زيد زايد،** علم المعانى بين النظرية والتطبيق، مكتبة الشباب القاهرة، ط٢، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م .
- **عبد العزيز عبد المعطى عرفة**،من بلاغة النظم العربي:دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني،عالم الكتب،بيروت،ط٢،١٤٠٥هـ،١٩٨٤م.
- **عبد الفتاح لاشين** ،المعاني في ضوء أساليب القرآن ، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٧٦م.
- **عبد القاهر الجرجاني** ، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر ،القاهرة، (طبعة سنه ٢٠٠٠م)،(طبعة خاصة من مكتبة الخانجى لمكتبة الأسرة، بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- **فتحي أحمد عامر**، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني منشأة المعارف بالإسكندرية، ط ١ ، ١٩٧٦م.
- **هاشم صالح مناع** ، روائع من الأدب العربي (العصري الجاهلي ،الإسلامي ، الأموي، العباسي). منشورات دار ومكتبة الهلال،.بيروت ، ط ١، ١٤٤٠هـ/ ١٩٩٠م .